مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 07 (عدد خاص)
أفريل 2022
ص ص 164-191

التنمّر السيبراني وانعكاساته على الرابط الاجتماعي
-مقاربة سوسيولوجية-

Cyber bullying and its repercussions on the social link
A sociological approach

عبد النور صدّيقي[1*] ؛ بلعباس لبابير[2]

[1] جامعة سيدي بلعباس (الجزائر).

البريد الالكتروني: seddikinour@yahoo.fr

[2] جامعة سيدي بلعباس (الجزائر).

البريد الالكتروني: labair44_abbes@yahoo.fr

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022/12/20	2023/03/26	2023/04/15

الملخص: أردنا من خلال هذا البحث كشف المتخفي من مجموع الخطاب السوسيولوجي الفهمي والنقدي في بعض الممارسات اليومية، ضمن حقل علم الاجتماع الرقمي الذي باستطاعته توضيح التحولات البنيوية التي تمرّ بها البيئة الاجتماعية للأشخاص والجماعات ضمن سياقات تميزها التحولات والتوترات المجتمعية الناتجة عن استخدام وسائل التواصل التكنولوجية الحديثة، وكيف انطبعت بأشكال وصور جديدة في طبيعة الروابط الاجتماعية.

اعتمدنا على منهج تقصّي السيرة الذي يعتمد على استقراء وتتبع الفعل التنمّري عند ثلاث فواعل: المتنمّر- الضحية والشهود، لكشف دلالات الفعل وانعكاساته على الروابط الاجتماعية وكيف يهندس لقيام روابط اجتماعية من نوع خاص تنفرد به شبكات العلاقات التفاعلية الافتراضية التي فرضتها التكنولوجيا الحديثة. لرصد هذه المعطيات اعتمدنا على عينة قصدية تتشكّل من عشرة أفراد مشهود لهم عند متتبعي شبكات التواصل الاجتماعي بأفعالهم التنمّرية، ومن ثم التواصل معهم وتحليل محتوى خطاباتهم ورسائلهم.

تبيّن لنا من خلال بحثنا مدى خطورة الممارسات التنمّرية السيبرانية على درجة تماسك الرابط الاجتماعي والذي يؤثر بدوره بشكل مباشر على البيئة المجتمعية.

* **المؤلف المرسل**

الكلمات المفتاحية: *التنمّر ؛ الإنترنت ؛ الروابط ؛ الاستبعاد ؛ الإقصاء.*

Abstract: We aim through this research at revealing the hidden side of social critical discourse in some daily practices, within the field of digital sociology which could explain the structural transformations that the social environment of people and groups is going through, within contexts characterized by transformations and social tensions resulting from the use of modern technological means of communication. And how they are formulated in new forms and images that are reflected in social links.

We apply the biography investigation approach, basing on extrapolating and following the bullying act with three actors: the bully, the victim and the witnesses. The aim is to determine the significations of this act and its reflections on social relation and how it interferes in engineering and establishing specific social links that differentiate the interactive digital networks relationships which are imposed by modern technology. To examine this data, we start by relying on a purposive sample consisting of ten individuals who are known to follow social networks for their bullying actions, communicating with them then analyzing the content of their speeches and messages.

According to our research, we find out; to what extent cyber bullying practices are dangerous and how do they affect the degree of social relations cohesion, which in turn affects directly the social environment.

Keywords: *bullying; internet; links; elimination; exclusion*.

مقدّمة:

تعتبر الدراسات التي تدور إشكالاتها حول مسألة التنمّر السيبراني في مختلف صوره الفردية والجماعية؛ من المواضيع العلمية الأكثر صعوبة في مجال العلوم الإنسانية، حيث مازالت هذه المسألة تشكّل لغزاً رئيساً يواجه النظرة العلمية المتمحّصة، مثلما يقول العديد من الباحثين الاجتماعيين (كوتش، 2013، ص13)، تعترض النظرة الأحادية للأشياء التأصيل العلمي الدّقيق، لأنّ هذا النوع من المواضيع تتقاطع فيه عديد المداخل العلمية من علم الأحياء وعلم النفس وعلم الاجتماع...إلخ. ولهذا، لكي نكشف أسرار بناء العقل وأبعاد تشكّلات الوعي عند الإنسان نحتاج إلى التعامل مع هذه المسألة بعمق معرفي وحذر إبستيمولوجي ومنهجي منطلقه الرئيس هو كسر التخصص الضيّق في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

لا شك أنّنا أصبحنا نعيش في عصر والثورة الرقمية (Révolution Numérique) بامتياز، وأنّ هذه الثّورة حقّقت نقلة سريعة ونوعية في نظام حياة الناس وتفاعلاتهم

اليومية ونقاشاتهم الفكرية والسياسية، وأنه لم تعد هذه الوسائط الرقميّة مجرد وسائط للتواصل الاجتماعي أو لنقل الأخبار، وإنّما أصبحت أيضا مثلما يقول أنطوني غيدنز: (لوسائل الإعلام أهمية تعادل ما للمدارس والجامعات في إقامة مجتمع المعرفة، وكلما اتسع هامش الحريات التي تتمتع بها وزاد اهتمامها بالقضايا المهمة مثل الحكم الصالح، والتمكين الاجتماعي، تعززت الحوافز لتأسيس مجتمع المعرفة) (أنطوني غيدنز، 2014، ص ص57–58) فالمادّة التي تتكوّن منها العلاقات الإنسانية، وامتزج فيها الخاص بالعام والمحلي. لهذا، تشكل هذه الثورة مبحثاً علمياً ذا أهمية وراهنية (Actualisation) في "علم الاجتماع الرّقمي" لرصد آليات بناء العقل البشري ودورها في بناء ثقافات الشعوب عبر مختلف أنساقها المعرفية (اللغة، التواصل، الإعلام ...).

إنّ علاقة الحقل التواصلي بالإعلام هي علاقة ثابتة تاريخياً، إذ لا يمكن للفرد والجماعة أن يبقيا في معزل عن التفاعل مع الآخرين إلا عبر وسائل الإعلام بمختلف أشكالها ومضامينها. وقد نجحت الثورة الرقمية في نقل ساحة الصراع والتنافس من الميداني إلى الافتراضي حتى أصبح الإعلام ظلاً للتفاعل الاجتماعي في حركتها الاتصالية اليومية. وتدعّمت هذه العلاقة أكثر مع الإعلام الشّبكي والافتراضي الذي يتميّز بتنوع مضامين رسائله وأشكاله: المدونات والصور والرموز وغيرها من التعبيرات الرقميّة التي لها قوّة توجيهية كبيرة في هندسة عقول الأفراد والتأثير في نفسيتهم والتحكم في طرائق تفاعلهم وبناء اجتماعيتهم.

لقد غذّت وسائل الإعلام الإلكترونية، في مختلف أشكالها، حلقات "التنمّر الاجتماعي" في جميع أبعادها النفسية والمادية، حتى تحولت هذه الظاهرة إلى براديغم في الحوار الفردي والجماعي داخل المجتمعات الإنسانية، وبدأت تظهر إيقاعاتها أو ترسباتها السلبية في دينامية الحراك المجتمعي ومخرجاته. فهذه الوسائط الرقمية هي التي تتحكم اليوم، وبشكل لافت للنظير، في إيقاعات النّغمات النفسية والقيم الأخلاقية للشعوب عبر ما

تنشره من رسائل وصور ومعايير "جديدة" تراوحت مفاعيلها المجتمعية بين الالتحام والتشرذم في ظلّ عدم توافق المعايير والقيم المستحدثة مع المجتمع الجديد الذي أضحى يتواصل باستعمال الفضاء السيبراني، وعليه وانطلاقاً من بعض الممارسات التنمّرية التي انتشرت في مجتمعاتنا حريّ بنا أن نطرح التساؤل التالي: ما هو موقع التحوّل الذي عرفته ظاهرة التنمّر الرقمي في إعادة هندسة الرّوابط الاجتماعية والأخلاقية؟

1. التنمّر السيبراني؛ المفهوم والإسقاطات:

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى تسليط الضوء المعرفي على بعض الزوايا التي ظلت مستترة ومخفية من مجموع الخطابات السوسيولوجية الفهمية والنقدية ضمن الممارسات المعرفية التي باستطاعتها الكشف عن جملة التناقضات والتحولات البنيوية العميقة التي يمرّ بها المجتمع في بيئة غير مستقرة وفي حالة توتر، ظهرت فيها العديد من الأشكال والأفعال التنمّريّة عبر الوسائل الإعلامية الإلكترونية التي استخدم فيها الخطاب التنمّري، ومن أجل القيام بذلك نحن ملزمون أولاَ بالفصل في المفهوم من الناحية الابستمولوجية في مختلف اللغات: ففي مجمع الوسيط نجد تنمّر، يتنمّر تنمّرا فهو متنمّر، وتنمّر الشخص أي غضب وساء خلقه، وصار كالنمر الغاضب، والتنمّر هو التشبه بالنمر في لونه وطبعه، وتنمّر لفلان أي تنكر له وأوعده، توحي هذه التعاريف بحالة التأزم الذي يصيب العلاقات الاجتماعية في جميع مضامينها المعبرة عن طبيعة الديناميات التي تمرّ بها المجتمعات في قيمها ومعاييرها من خلال قراءة أساليبه الترغيبية والترهيبية، سواء كانت إيقاعاتها ذات قوة بناءة أو تدميرية على الفرد والجماعة.(أنيس وآخرون، 2004، ص 109)

أما في اللغات اللاتينية فيحدث التداخل في المفاهيم بين (Harcèlement) عند الفرنسيين، (intimidation) عند الكنديين بحيث تعني الأولى التحرش باعتبار فعل حرش- حرشاً وتحرّشاً، حرش الضبّ اصطاده، وحرش البعير حكّ ظهره ليسرع، حرش الرجل

خدشه، وحرش بين القوم أغرى بعضهم بعض... وتحرّش به تعرض له. (لويس معلوف، بدون سنة نشر، ص122) والثانية التخويف مصدرها خوف أي أرعبه وأفزعه – غصبه وأرهبه، ومنه يكون التخويف مرادف للوعيد والتوعد، التهديد والإساءة والترويع حسب طبيعة استعمالات وتوظيف هذه المرادفات، لذلك نقول إبعاد (Intimidation)– نهاية الإساءة الالكترونية (Fin de l'intimidation électronique) – التنمّر في العمل (Intimidation dans le travail)– تخويف وترهيب الشهود (Intimidation des témoins)... يُعرِّف دان ألويس (أول من أسَّس للأبحاث حول التنمّر في المدارس) التنمّر المدرسي، بأنه أفعال سلبية متكررة، يتعمد القيام بها تلميذ أو تلاميذ، لإلحاق الأذى بتلميذ آخر، تشمل: التهديد والتوبيخ، والشتم والضرب، وفرض سلطة طرف على آخر، فالتنمّر إذن هو سلوك عدواني متكرر، يهدف إلى الإضرار بشخص آخر عمدًا، جسديًّا أو نفسيًّا، واكتساب السلطة على حساب شخص آخر. ويمكن أن تتضمن التصرفات التي تُعَدُّ تنمّرا: التنابز بالألقاب، أو الإساءات اللفظية أو المكتوبة، أو الإقصاء المتعمَّد.

لذلك فقد أثبتت الدراسات المتخصصة أن ضحايا التنمّر يعانون عدَّةَ أزمات ناتجة عن حوادث التنمّر؛ ما يجعل عددًا كبيرًا منهم يتغيَّبون عن المدرسة، على الأقل مرة في الأسبوع، لأنها أصبحت مرادفًا للمكان غير الآمن لهم. ويصاحب الخوفَ من الذهاب إلى المدرسة، أعراضُ الكآبة والرغبة في الانتحار... تجدر الإشارة هنا إلى صفات حيوان النمر الذي ينتمي إلى فصيلة السنوريات (Panthère)، يتميّز عن غيره من الحيوانات المفترسة بطابعه الانعزالي وقدرته على الانفراد بالفريسة، يحب النمر البقاء بمفرده طول الوقت لذلك يطوّر من قدرته على الصيد وقنص الفرائس ومطاردتها، غير أنّه يختلف عن بقية الحيوانات المفترسة في أسلوب العيش، فهو لا يؤمن بالتعاون والوسطية والاعتدال، بل أن طبيعته الانعزالية جعلت منه غير قادر على نسج علاقات مع الحيوانات الأخرى التي تعيش في بيئته كالأسود التي تعيش ضمن الجماعات والفصائل الحيوانية التي تشابهها

في القدرة على نسج علاقات جماعية، من ذلك فإن ملمح الإنسان المتنمّر يتصف بحاجته الملحة للسيطرة والهيمنة، يتميّز بحب الظهور بالقوة أمام الآخرين، فهو مندفع وشديد الحركة والسرعة لا يشعر بالذنب، يميل إلى خصائص الاضطراب والقلق، ميزته نقص الحنان الناتج عن طبيعة تنشئته الميالة إلى العدوانية (https://petitpets.com/les-lions-et-les-tigres-sentendent-ils-)، ومن هنا نميز بين العدوانيين السلبيين والعدوانيين النشطين (Agresseurs passifs actifs) يتميّز الأوائل بالتبعية وقلّة الأمان، بينما يتمتع النشطين منهم بالاستقلالية ولا يحتاجون إلى قوة تدفعهم إلى اقتراف فعل التنمّر، أما ملمح الضحايا فيُختار على أساس العجز أو الاختلاف الفيزيقي(الأصل، لون البشرة أو الشعر، الوزن/ أو المثلية الحقيقية أو المنسوبة) إلى جانب الاختلافات الاجتماعية (الأكثر فقراً، الأكثر غنى، مهنة الوالدين... (Pestana, 2013, P,P 75-77).

يعد التنمّر الإلكتروني أحد أنماط التنمّر التقليدي وأكثرها تطوراً من خلال الوسائل الحديثة كالإنترنت والتليفون المحمول، حيث يمكن استخدامهم في إرسال الرسائل غير المرغوبة، أو نشر الشائعات على صفحات الإنترنت، ويعد" بل بيسى ب" هو أول من صاغ وعرّف مصطلح التنمّر الإلكتروني على أنه "استخدام تقنيات المعلومات والاتصالات لدعم سلوك متعمّد ومتكرر وعدائي من قبل فرد أو مجموعة والتي تهدف إلى إيذاء أشخاص آخرين" (حسين، 2016، ص51)، من هذا المنطلق جاء تعريف منظمة اليونسيف للتنمّر السيبراني على أنّه عندما يتلقى الفرد رسائل إلكترونية في حاسوبه أو هاتفه النقال على شكل متكرر ومؤذي، يمكن أن نتكلم عن تنمّر سيبراني، يمكن لهذه الرسائل أن تحتوي على تهديدات، إهانات أو ابتزاز، وإذا لم يقم المُتنمَّر عليه بما أمر بفعله (لقاء– بعث قيمة مالية أو إعطاء معلومات شخصية..) يمكن أن تتعرّض للعنف أو الإذلال (Humiliation)، وفي بعض الحالات يصبح عرضة للإشاعة كما هو الحال بالنسبة للشخصيات العامة (المشاهير،

الفنانون...)، وعليه يمكن القول أنّ التنمّر يحدث للجميع، ويوقفه الجميع (https://www.unicef.org/egypt/ar/bullying).

ويمكن أن نميّز بين ثلاثة عناصر أساسية في فعل التنمّر:

– عنصر التكرار والتردد– عنصر اللاتوازن– عنصر السكوت/التأييد عند الجمهور أو الشهود، فعندما يتكرر الفعل ويسكت الشهود أو يؤيدون الفعل، ينتج عن ذلك فقدان التوازن بين الضحية والمتنمّر في الوسط الافتراضي المتعدد الصور والأساليب. (Hachelafi ,2021, p 37)

نشير في بداية هذا المدخل المفاهيمي، إلى أن معالجتنا لظاهرة "التنمّر" عبر الوسائط الإعلامية الافتراضية، لا يخرج عن الإطار المنهج العلمي العام الذي يوجّه بحوثنا في دراسة الظواهر الاجتماعية. وهذا الإطار ينطلق من بديهة معرفية وهي أن كلّ ثقافة تستند على منظومة من القيم، وهذه القيم توجّه السلوكيات الفردية والجماعية باعتبارها تشكّل الزوايا التي يفرضها النسق العام للمجتمع على أعضائه أو الضوابط الاجتماعية أو ما يسميها "موريس دوفرجيه– بـــالإكراهات الاجتماعية.– فشبكات التواصل الاجتماعي أعادت تشكيل الذهنية الجمعية ووظيفتها الإدراكية ـــــ سلباً وإيجاباً ـــــ ضمن حالة استلابيه وتشيئية وأعادت عرضها وفق أهدافها في بحر الفضاء السيبراني، ثم اتخذت أشكالاً من السلوكيات الجماعية "المُقيمنة أو المثمنة (Valorisé)، أصبحت تتحكم في بنية وثقافة المجتمع.

تمثّل المعلومة والاتصال أمام التقدم الذي أحرزته تكنولوجيا الاتصال بداية عهد جديد، يسمح بتسهيل ومضاعفة طرائق الاتصال، البعض منها خاص والبعض الآخر يدخل في الفضاء العام، مما سمح بتواجد الكثير من وسائل التبادل:

– **المكالمات الهاتفية** (Les appels téléphoniques): وهي المكالمات الصوتية التي تحدث عبر الوسيلة الالكترونية وتهدف إلى خلق جو من الخوف والقلق النفسي الشديد للضحية من خلال التهديد والسب والتجريح والقذف.

- **البريد الإلكتروني** (Les mails): الذي يسمح بإرسال الرسائل الالكترونية إلى شخص آخر عن طريق بريده الخاص،يمكن لهذا البريد أن يحتوي على نص، صور- صوت أو روابط وفديوهات... .(حنفي وصادق، 2019، ص 279)

- **المدوّنات** (Les Blogs): هي صفحة خاصة تفاعلية تحتوي على مقالات، مفتوحة للقراءة ولتعاليق القراء، يستغلها بعض ممتهني الحرف الدعايات لإلصاق التهم بأصحاب المهن والحرفين حسب تعبير المستجوب الثاني.

- **الرسائل النصية** (Les messages texte): ويقصد بها إرسال المتنمّر رسائل نصية تصل للضحية عبر الوسيلة الالكترونية وتتضمن التهديد بنشر المعلومات الشخصية والصور الخاصة به من اجل محاولة ابتزازه. (الصبان وآخرون، 2020، ص 326)

- **المحادثات** (Les Tchats): خصوصية المحادثة تحددها الرسائل الفورية التي يمكن أن تكون خاصة أو عامة دون المحافظة عليها، بالاعتماد على الاختلافات الخلقية والاجتماعية والثقافية عند الكثير من يدخلون في الدردشة الالكترونية حسب تعبير المستجوب السابع.

- **الشبكات الاجتماعية** (Les réseaux sociaux): لها إمكانيات متعددة، من بينها إنشاء جماعات افتراضية أو أصدقاء يمكنهم التواصل والتبادل والمناقشة من مختلف مناطق العالم، كما يمكنهم التفاعل من أجل مناصرة بعض القضايا، وهو ما نشاهده في قراءة صفحات الذباب الالكتروني حسب تعبير المستجوب التاسع.

2. أساليب وأشكال التنمّر السيبراني:

الأساليب المستخدمة في التنمّر السبيراني عديدة، إذ يتضمّن التنمّر الإلكتروني (السبيراني) استخدام الهاتف الخلوي، أو الكمبيوتر، أو الجهاز اللوحي للانخراط في سلوكيات غير مرغوب فيها وعدوانية تجاه الآخرين؛ فيمكنه مشاركة وعرض محتوى

ضار، وكاذب، وسلبي، عن شخص آخر، كذلك يستطيع المتنمّر فعل ذلك عبر وسائل التواصل الاجتماعي، والمنتديات، والألعاب، وغيرها من المنافذ الرقمية.

وهنالك عدّة أشكال للتنمّر السيبراني نلخصها في النقاط التالية:

– **التمثيل أو انتحال الهوية (التنكّر):** والتمثيل يُعني انتحال الهوية، ويحدث عندما ينشئ شخص ما حساباً شخصياً مزيفاً باسم شخص آخر أو يخترق حساب شخص آخر، وهنا يتظاهر المتنمّر عبر الإنترنت بأنه صاحب الحساب الأصلي، وبعدها يشوه سمعة الضحية سواء عن طريق مشاركة منشورات إباحية، أو عن طريق إرسال رسائل غير لائقة لأصدقاء الضحية، أو عن طريق نشر تعليقات على وسائل التواصل الاجتماعي وغرف الدردشة باسم صاحب الحساب الأصلي؛ مما قد يؤدي تعرض الضحية لرد فعل عنيف من الآخرين بناءً على تعليقات المتنمّر عبر الإنترنت، استخدام وجوه تنكرية أو استئجار بعض الوجوه الجذابة فكاهياً... لبعث رسالة تنمّرية مقصودة لأشخاص أو مؤسسات خاصة أو عامة حسب تعبير المستجوب الثالث.

وعليه يتبين لنا أن المتنمّر يمكن أن يتظاهر بأنه فرد آخر ليقوم بإرسال رسائل ومواد معينة للإيقاع بالضحية والتوصل إلى معلوماته الشخصية تمهيداً لنشرها لكي يجعله في موضع الفرد السيء (الشناوي، 2014، ص6)

– **التحقير الالكتروني:** وذلك بقيام المتنمّر بنشر الشائعات حول الضحية بهدف الإساءة إليه وتشويه سمعته وإرسال له جمل وفقرات تحمل كلمات مؤذية أو محرجة له بغية إلحاق الضرر به .(قل لا للتنمّر الالكتروني، ص12)

– **التحرّش الالكتروني:** ويعني إرسال رسائل غير أخلاقية ومهينة ومسيئة بشكل متكرر عبر الوسيلة الإلكترونية إلى الضحية بهدف التهديد والإهانة، ويمكن أن تحتوي هذه الرسائل على كلمات تدل على التحرّش وقد تصل لأن تكون ذات دلائل جنسية.

- **الفضح وانتهاك الخصوصية:** وذلك من خلال نشر ومشاركة وارسال أو طبع منشورات تحتوي على أسرار ومعلومات الضحية من خلال الوسائل الإلكترونية.

- **الخداع:** ويعني استدراج الضحية للكشف عن إسرار ومعلومات محرجة، ثم يقوم المتنمّر بنشرها عبر الوسيلة الإلكترونية من خلال إعادة توجيه الرسائل إلى العديد من الأصدقاء. (هثيمي، 2015، ص58)

يعتبر الخداع من أشهر الأساليب المستخدمة في التنمّر السيبراني، إذ يستخدم المتنمّر عبر الإنترنت طرقاً لخداع ضحيته لجعلهم يعتقدون أنهم يتحدثون بثقة مع صديق مقرّب حتى يشاركوا معلومات حساسة؛ مثل: الأسرار أو المعلومات المهينة، وبمجرد حصول المتنمّر على المعلومات سيستخدمها من خلال نشرها علناً للآخرين في محاولة للإضرار بالضحية، التمويه والخداع الذي يستعمله المتنمّر لإيقاع الفريسة عندما يتعرف على مواطن ضعفها حسب تعبير المستجوب الرابع.

- **المطاردة الإلكترونية:** يراقب المتنمّر تواجد الضحية عبر الإنترنت عن كثب، ويمكن أن يوجه المتنمّر أيضاً اتهامات وتهديدات كاذبة للضحية وأحبائهم، بالإضافة إلى ذلك؛ يمكن أن تمتد المطاردة عبر الإنترنت إلى العالم الحقيقي، لتصبح خطيرة جداً على الضحية ومن حولها، وسواء كانت المطاردة إلكترونية أو مطاردة على أر الواقع، فإنها تُعد جريمة جنائية.

- **المضايقة الإلكترونية:** تحدث المضايقات عندما يرسل المتنمّر رسائل هجومية وتهديدية عبر وسائل الاتصال الإلكترونية إلى هدفه أو هدفها، وللأسف قد يتجمع العديد من الأشخاص لإرسال آلاف الرسائل إلى الضحية في وقت واحد، مضايقة المراهقات وتهديهن عبر الصور والإيقاعات التنمّرية المتداولة عند هذه الفئات العمرية حسب تعبير المستجوب الثامن. أي أن المضايقات تتم إرسال عبارات عدوانية وقاسية للضحية عبر الوسيلة الإلكترونية بشكل متكرّر. (الصبان وآخرون، 2020، ص325،326)

- **إرسال رسائل لأصدقاء الضحية:** يرسل المتنمّر رسائل إباحية وغير لائقة لأصدقاء الضحية.

- **التشويه:** يحاول المتنمّر الإضرار بسمعة الضحية أو تدمير الصداقات التي لديه، من خلال نشر شائعات لا أساس لها من الصحة على الإنترنت، ونشر تعليقات مهينة عنهم على مواقع التواصل الاجتماعي.

- **الغضب الالكتروني:** ويشير إلى إرسال المتنمّر رسائل إلكترونية بلغة غاضبة ومبتذلة عن الضحية إلى مجموعة ما أو إلى الضحية عبر الوسيلة الإلكترونية. (أبو العلا، 2017، ص531)

- **مشاركة المعلومات:** يستخدم المتنمّر عبر الإنترنت وسائل تكنولوجية لمشاركة معلومات خاصة علناً دون إذن بقصد إيذاء الضحية.

- **الإقصاء:** قيام المتنمّر بكل المحاولات الممكنة لطرد الضحية من مجموعة أو حذفه من مواقع التواصل الاجتماعي وحث الآخرين على ذلك دون وجود مبرر، سوى ممارسة القوة على الضحية والتنكيد عليه. (أبو دوح، 2017، ص6)

3. أعراض وآثار التعرّض للتنمّر الإلكتروني:

يمكنك أن تتعرّض للتنمّر عبر الإنترنت من قبل شخص آخر حتى وأنت داخل منزلك، ويمكن أن يكون للتنمّر عبر الإنترنت عواقب وخيمة، فبعض الضحايا قد يكونوا قادرين على التعافي بنجاح من معاناتهم، إلا أنّ هناك آخرين يعانون في صمت ويختارون الانتحار لإنهاء الألم. وقد ربطت الأبحاث بين التنمّر الإلكتروني بالاكتئاب لدى المراهقين؛ إذ يمكن أن يتسبب في شعورهم بالقلق والإحراج، كما يمكنهم أن يعانوا من صدمة جسدية وعاطفية؛ ولهذا يجب تثقيف أطفالنا وشبابنا لمعرفة الأنواع والأساليب المستخدمة في التنمّر الالكتروني.

ويمكن باختصار إيجاز أهم أعراض وآثار التعرّض للتنمّر الإلكتروني فيما يلي:

- الانسحاب من المناسبات العائلية والتجمعات الاجتماعية الأخرى.
- الإبلاغ عن الشعور بالمرض لتجنب الالتقاء بالناس.
- محاولة عدم الاتصال بالإنترنت.
- الاكتئاب والشعور بالقلق.

قد يكون من الصعب أن يتحدث ابنك أو صاحبك عن تعرضه للتنمّر عبر الإنترنت؛ بسبب الخوف من الانتقام أو الإحراج؛ ولكن هناك عدة علامات تدل على أن ابنك أو صاحبك ضحية الأساليب المستخدمة في التنمّر الإلكتروني، وقد تتضمن تلك الدلائل والعلامات الأمثلة السابقة، إضافة إلى بعض العلامات النفسية الأخرى مثل: تأثّر عاطفي، تأثّر جسدي، تأثّر عقلي.

4. ملامح التنمّر في الفضاء السّيبراني:

من أبرز ملامح سلوكيات التنمّر السيبراني عبر شبكة الإنترنت، أنه يستخدم فيها فرد أو مجموعة ما شبكات التواصل الاجتماعي باستخدام الهاتف أو الأجهزة الإلكترونية المحمولة لنشر رسالة أو صورة تهديد أو تحرش أو مضايقة للآخرين، أو بهدف إحراج شخص آخر عبر كشف أسرار شخصية له. وفي كثير من الأحيان، يقوم المتنمّرون بإنشاء "مواقع نكرة" ومجهولة الهوية (لا تتضمن صورة الشخص أو اسمه الحقيقيين) على شبكة التواصل الاجتماعي، أو يشكلون "مجموعة افتراضية" وضمن ما يمكن أن نسميه بـــ "الحشد الافتراضي" أو "الرقمي" في صفحات هذه المواقع، ويشجعون الآخرين على الانضمام إليهم والإدلاء بنفس التعليقات كلما تعلق الأمر بمهاجمة بعض الأشخاص أو الأحزاب الأخرى المناوئة لها.

لقد انتشرت ظاهرة التنمّر السيبراني في إطار سياق اجتماعي غلب عليه الطابع المتـــأزم الناشئ عن التداخل في النماذج الثقافية والتثاقف، يعمل فيه كل تيار على تحقيق التوازن بين أهدافه القائمة على اعتبارات تقليد/حداثة (غالباً لا تكون ساحة التنمّر معارك

من أجل مصلحة شخصية، بل ضمن ساحة النزاعات الشخصية)، وبين متطلبات اللحظة ليستحوذ لنفسه على قوة تأثيرية رمزية ونفسية يضمن بها استمرارية وجوده في المشهد الاجتماعي. فسلوكيات التنمّر بالنسبة إلى الفاعلين المتنمّرين هي عبارة عن إحدى "الذّخائر النّاعمة" أو آلية في "الشّحن" (chargement) التي تزودهم بالقوة المناسبة إما بهدف الضغط على الخصم وإضعافه، أو لتعويض فشلهم الميداني والحفاظ مقبوليتهم لدى "الحشود الجماهيرية" وولائها لها.

ولأنّ التواصل عبر الإنترنت عامة، وشبكات التواصل الاجتماعي بشكل خاص، قد أزال معظم القيود المفروضة على المساءلة لهؤلاء، فإنّ هذه التكنولوجيا ساعدتهم على "التطبّع" مع سلوكيات التنمّر وتعبيراتها المختلفة (اللفظية والرمزية والتصويرية..)، التي لم يكن من الممكن الإدلاء والتعبير عنها بشكل مباشر في الواقع، حيث توفر الشبكات التواصل الافتراضي، " للغوغاء فرصة عدم الكشف عن الهوية، ومن ثم الفرصة للتصرّف بطريقة مخزية أكثر مما قد يفعل المرء عند التعامل شخصياً. (غريتفيلد، 2017، ص169) فالشاشة الإعلامية الافتراضية منحت بعض مستخدميها فرصة للتجرّد من إنسانيتهم، لدرجة أن المتنمّرين في السياسة، لم يعودوا في حاجة إلى الانضباط أو الالتزام بأخْلاقية الحوارات الدائرة بينهم. ومن ثم، وبحسب ما أشارت إليه عديد الدّراسات، فإنّ شبكة الإنترنت خلقت فضاءً فريدًا من نوعه يضيف قدراً إضافياً من "الانفصال" والتجرّد من القيم الأخلاقية. لقد عبثت شبكات التواصل الاجتماعي بحياة الناس ـــــ نخبة المجتمع وعامته ـــــ بطريقة لافتة وغير مسبوقة، إذ سيطرت على حياتهم اليومية عبرلآدابها وقيمها ونظام تفاعلاتها الجديدة.

5. ضرورة التمييز بين العقل والوعي في ظاهرة التنمّر:

تعتبر مقاربة عالم النفس الاجتماعي "غوستاف لوبان" (Gustave Le Bon) حول "بسيكولوجيا الجماهير"(Psychologie des Foules)، إحدى المقاربات المهمّة التي تمكننا

من الإمساك بأبعاد ظاهرة "التنمّر السياسي" من خلال ما تتوفر فيها من عُدّة منهجية وتأصيل نظري وزوايا نظر مهمّة في دراسة قضايا "العقل الجمعي" و "بسيكولوجيا الحشود"، أي البحث في طرق تشكل عقلية جماعية في بيئة مليئة بالفجاج والانزلاق الذي لم يكن يخطر على البال قبل ظهور الثورة السيبرانية. وسوف تمنحنا القدرة المعرفية على فهم وتفسير السياقات المجتمعية التي تدفع بالبعض ـــــ أفرادا وجماعات ـــــ إلى إتباع سلوكيات "لا معيارية" (Anomie) التي تتعارض مع منطق الفعل السياسي السوي والتفكير العقلاني الرشيد.

من الممكن أن نفقد عقولنا كأفراد بسبب أمراض فيزيولوجية، أو نسمح لها بالرّحيل بصورة مؤقتة وإيجابية في عالم الخيال والأحلام. ولكن ليس هذا مركز اهتمامنا في هذه الدراسة، وإنّما سنبحث فيما يتعلق بالمواقف السياسية التي تعيش فيها الجماهير حالة من إغراء الأحاسيس والعواطف ليتحولوا فيها إلى متلقّين سلبيين، بدلاً من أن يكونوا مفكرين فاعلين وعقلانيين ممسكين بإدارة أفعالهم. ولهذا، ينبغي علينا الانتباه إلى ضرورة التمييز بين "نسف" أو "فقدان" العقل النهائي (نتيجة حالة الشلل النهائي بسبب مرض فقدان الذاكرة مثلا)، وبين ما يسمى بالسلوك الجماهيري "الطائش" والقائم على بسيكولوجيا الحشود، حيث تستمد الهوية الغوغائية الجماعية من أيديولوجيات طائفية: سياسية وعرقية ودينية. الخ. ففي ظلّ البيئات الاجتماعية والسياسية والثقافية المعطوبة التي تهيمن عليها "براديغم التفاهة"، والممتلئة بالمضامين الفكرية والسياسية المسبّبة للهذيان اللساني وسرعة الوتيرة والتطور التكنولوجي، لا تحتاج الشعوب إلى بنية معرفية معقدة، لأنّها "حسية" و"عاطفية" في المقام الأول، بذلك يتمّ هندسة روابط هجينة تجمع بين الباتولوجي في بنية القيم والمعايير القديمة والحديثة حسب تعبير المستجوب الخامس.

كلما زادت هيمنة الحواس والعواطف والعقلية الزبونية على حساب العقلنة، يزداد إحساس "الجمهور" بالمتعة أو "النشوة" (Ecstasy). والنشوة هنا بحسب اشتقاقها اليوناني

التي تعني "أن تقف خارج نفسك" (غريتفيلد، 2017، ص116)؛ فيصبح الوعي الذاتي أو تكرار الشعور بالذات من أجل أن يتحوّل المرء إلى متلقٍ سلبي عبر حواسه (السمع، النظر، اللمس..) ليصبح من خلالها في حالة استلاب معرفي عن الواقع، لأنّ المتحكم الفعلي في عملية إدراك هذا الواقع هي عقلانية شبكات التواصل الاجتماعي التي ينتمي إليها الأفراد، والتي تحولت بالنسبة إلى بعضهم إلى منصّات للتعبير عن أفراحهم أو أحزانهم اليومية، أو إلى شكل من أشكال "الأردية الافتراضية" التي يختفون فيها، أكثر ممّا هي وسيلة لتنشيط ملكة الوعي بطريقة عقلانية لكشف حقيقة واقعهم.

إذًا، بقدر ما شكّلت شبكة الإنترنت في مختلف استخداماتها الفكرية والتقنية والعلمية مصدر خير وفير لمستخدميها وللمجتمعات الإنسانية عامة، فإنّها مثلت أيضا، مصدرا لإنتاج الشرور المروعة والمهلكة للذات الإنسانية نتيجة سوء استخدامها. فقد أصبحت المنصات الإعلامية الإلكترونية في منطقتنا العربية، خاصة بعد عام 2011، من أبرز الفضاءات المنتجة لظاهرة التنمّر السياسي ولنشر كلّ أشكال الكراهية والعنف، لأنها فضاءات خارجة عن السّيطرة الذاتية والخارجية عبر مؤسّسات التنشئة الاجتماعية أو الضّبط الاجتماعي بحسب العبارة الدوركايمية (كوين، 2013، ص48). إذ لم يشهد تاريخنا العربي المعاصر تجربة سياسية تضاهيها في أزمتها وفوضويتها وإيقاعاتها التّدميرية في النفسانية –الفردية والجمعية– مثلما تقوم به الوسائط الإعلامية الافتراضية اليوم.

6. آثار التنمّر السيبراني على الروابط الاجتماعية:

يشير وضع الهشاشة إلى عملية إضعاف روابط الفرد بالمجتمع، بمعنى فقدان مزدوج للحماية والاعتراف الاجتماعيين. فالفرد غير المستقر وغير المؤهل اجتماعيا يصبح في سياق التحولات المتسارعة، عرضة لأخطار المستقبل وغارق في ثقل النظرة السلبية التي يحملها حوله الآخرون. لكن هذا التعريف يستدعي العودة إلى مسالة الروابط

ثانية. بمعنى إذا كان عدم الاستقرار أو الهشاشة نتاجا لضعف الروابط الاجتماعية، فما أثر التنمّر السيبيراني على الروابط الاجتماعية؟

نعثر، من دون عناء، على أهم هذه الروابط في الكتابات النفسية الاجتماعية، سواء في فقدان الأهلية الاجتماعية عند الفئات التي تستعمل التنمّر السيبراني أو في الأشكال الأولية لتصدّع الروابط الاجتماعية، وبشكل خاص في " إعادة التفكير في التضامن" وكلها تعد ضمن أعراض التفكك الاجتماعي وسيادة الفردانية في نسيج العلاقات الاجتماعية. يميز فيها بين أربعة أنواع رئيسة من الروابط الاجتماعية: رابط الانتساب إلى المجتمع السيبراني من باب استغلال الوهن الذي أصاب الرابطة الاجتماعية من خلال الاستثمار في الاحباطات الاجتماعية المتعددة الأوجه حسب تعبير المستجوب الأول، ورابط المشاركة في التفاعلات الاجتماعية، ورابط المشاركة العضوية ورابط المواطنة في علاقتها بالفراغ الذي أصاب الفضاء العام حسب تعبير المستجوب العاشر. يطلق على هذا النوع من الروابط مفهوم روابط التعلّق من خلال تكرار الفعل التنمّر السيبراني حسب تعبير المستجوب السادس. وتعدّ روابط التعلق هذه، ذات أهمية قصوى في تقوية الاندماج في مختلف المؤسسات الاجتماعية التي تحميها وتعيد إنتاجها، وتعمل من خلالها على ترسيخ الحماية والاعتراف بالأفراد رغم اختلافاتهم المزاجية أو الخلقية.

وتختلف روابط التعلق هذه تبعا لاختلاف المجتمعات. ففي المجتمعات التي سماها إيميل دوركايم (E.Durkheim) بالمجتمعات ذات التضامنات الآلية والتي تتميز بالندرة " تبدو قوة الروابط الأسرية أمراً آلياً. في هذا النموذج من المجتمعات التي تفتقد إلى نظم مؤسساتية للحماية وتظل التعاقدات السياسية والاجتماعية هشة، تنزوي الروابط إلى مستوى الدوائر الأولية للانتماء (العائلة، الطائفة....) https://id.erudit.org/iderudit/1063688ar " وهذا الشعور بالرابطة المتبادلة باعتبارها الإرادة المميزة للجماعة، مهما كانت جماعة الانتماء، هو ما يسميه فرديناند تونيز

(F.Toennies) بالتفاهم المشترك أو الإجماع... أو الأساس العقلي الداخلي لعلاقة الأفراد، وهو رابط يقوي أمن الأفراد داخل الجماعة ويحميهم

http://journals.openedition.org/sociologie/1820

وإذا كانت الهشاشة بالمعنى السيبراني تشير إلى وضع محفوف بالمخاطر، قد يقود إلى الفقر في استعمال الوسائل التكنولوجية الحديثة خاصة عند الأجيال الحالية، فإنّه يحيل أيضاً، على ضعف الحماية والاعتراف . وهو أمر ينجم عنه تفكّك الروابط الاجتماعية التكنولوجية بالطرح الذي قدمه سيرج بوغام (S.Paugam)، يبدي هذا الأخير ملاحظة هامة بخصوص الفئات الهشة التي تساهم سياسة الإقصاء الممنهجة (ضعف استعمالات التكنولوجيا الحديثة في التواصل الاجتماعي) حيالها في استبعادها. إنّ العملية التي تجعل الأشخاص غير المستقرين غير مرئيين (invisible)، بحسبه، لا تنفصل عن سياسة الاستبعاد الاجتماعي للكثير من هذه الفئات.

ويبدو أن الطريقة التي تسعى بها السلطات إلى دفع الأشخاص في وضعية هشة إلى هامش الأماكن العامة، بالشكل الذي يجعلها أقل ارتباطاً بالطبقات الاجتماعية الأخرى، هي بمثابة آلية لإعادة إنتاج الاستبعاد والحرمان أو وضعية اللانتساب التي تحدث عنها كثيراً من بينهم روبر كاستل (R.Castel). (Bacqué, 2001, P42)

هناك تداخل بين مصطلحات الاستبعاد الاجتماعي ورأس المال الاجتماعي. كلاهما يشمل المشاركة في صنع المكانة الاجتماعية، بما في ذلك صنع الموقف والوضعية الاجتماعية. فعملية الفصل أو العزل أو الاستبعاد، هذه، تظل خاصية الكثير من المجتمعات بما فيها المتقدمة. وكما يلاحظ كل من كريس هان (Chris Hann) وكيث هارت (Keit Hart) في كتابهما "الأنثربولوجيا الاقتصادية: التاريخ والاثنوغرافيا والنقد" (أبو الديار، 2012، ص17) فإنه يمكن العثور على مبدأ التمييز القائم على الفصل بين الأغنياء والفقراء مكانياً انطلاقاً مما يمكن توصيفه بإمكانيات توفر واسع للوسائل والتكنولوجيات الرقمية،

لقد لفت مارك غرانوفتر (Mark Granovetter) الانتباه إلى أهمية الروابط مع مختلف الجماعات الاجتماعية في تحقيق الأفراد لحراك وتمكنهم من الرقي في السلم الاجتماعي. ويستعمل في إطار تحليله للشبكات الاجتماعية وعلاقتها بتطور الرأسمال الاجتماعي للأفراد، مفهوم "قوة العلاقات الضعيفة" (Legon, 2011,P 215) ليكشف بذلك أهمية الروابط، التي غالباً ما ينظر إليها بأنّها ليست ذات جدوى، في توسيع نفوذ الأفراد وتفادي استبعادهم الاجتماعي، مركزاً على ما يمكن أن تمنحه هذه العلاقات للفرد من فرص لتطوير رأسماله. فهذه العلاقات، وإن ارتكزت في البداية على المجموعات الصغيرة المتماسكة من قبيل الأسرة الصغيرة أو المجموعات الصغيرة، فإنّها سرعان ما تخترق شبكات أكثر اتساعاً وفعالية على مستوى سوق التبادلات المادية والرمزية. إن عدم تداخل الشبكات الاجتماعية والروابط بين مختلف الفئات الاجتماعية على اختلاف مستوياتها يقوّي من عملية العزل أو الاستبعاد، ويؤدي الأمر إلى عدم تكافؤ الفرص على جميع المستويات، بما فيها المشاركة في الوسائط التكنولوجية. ومن ثمّ، فإنّ أولئك الذين ينتمون إلى الشبكات الاجتماعية التي لديها بالفعل إمكانية الوصول إلى هذه التكنولوجيات الرقمية تحديد الموارد وتوزيعها أو إعاقة حصول الآخرين عليها (الوظائف، تدبير الموارد والثروات) هم أكثر قدرة على الاستمرار في الاندماج في العمليات المجتمعية من أولئك الذين ليس لديهم مثل هذه الإمكانية، أي إمكانية الوصول إلى مركز صنع القرار. وبالتالي، يمكن للمجتمعات أن تكون غنية وتتوفر على رساميل مختلفة، ومع ذلك تعاني من الفقر الإلكتروني. من هنا، يبدو مهمّاً التركيز على تحليل مجموعة من العوامل الهيكلية التي توسّع من الاستبعاد والإقصاء والحرمان التكنولوجي.

يرتبط السؤال الاجتماعي الأساسي بمفارقة مؤداها أنّ الاستقلالية المتزايدة للفرد تؤدّي في الواقع إلى ترابط أوثق مع أعضاء آخرين في المجتمع. لفهم هذه العملية، من الضروري الوقوف عند عامل أساسي ساهم في مأسسة الروابط الاجتماعية في المجتمعات

الحديثة. يتعلق الأمر بإنشاء نظام للحماية الاجتماعية المعمّمة القائمة على توثيق الصلة بين الفئات والأجيال في سياق اجتماعي يعترف به جميع أفراد المجتمع ويمأسسونه. وقد كان النموذج الذي وضعه ليون بورجوا (Leon bourgeois) في فرنسا من أهم نماذج التأمين الاجتماعي التي وسعت من عملية المأسسة تلك، وقوت من روابط الحماية والأمن الاجتماعيين.

إنّ الأطروحات الرئيسة التي جرى تطويرها في الأدبيات الاجتماعية عموماً، تنظر إلى الروابط الاجتماعية في المجتمعات الحديثة كنتاج لتطور تاريخي كرس بروز الفرد كفاعل واستقلاليته، على الأقل جزئيًا، فيما يتعلق بالبنية الاجتماعية. وقد تُرجمت هذه الاستقلالية عن طريق نظام علاقات مبني على مبادئ ترشيد السلوك وتكريس التعاقدات وتقوية الترابط بين الوظائف وتكامل الأفراد.

على الرّغم من أن قضايا العقل البشري مازالت تشكل لغزًا محيّرًا، لأنّه يتميّز بالبناء الدائم والتغيّر المستمر بفعل التأثيرات الخارجية المتعددة التي تساهم في تشكيل بنيته الإدراكية والمعرفية، فإنّ ارتباطية العقل البشري اليوم، المفرطة في الفضاء الإلكتروني أصبحت عاملاً قوياً في تغييره، سواء كان هذا التغيير نحو الأفضل أم إلى الأسوأ. ويذهب بعض العلماء إلى أنّ معرفة ما قد تعنيه تلك الارتباطية، وحسم ما سنفعله حيالها (غريتفيلد، 2017، ص298)، سيكون بالتأكيد أكبر تحديات عصرنا وأكثرها إثارة، لأنّ المتحكم أصبح متعلقاً بعقلانية الشبكات الاجتماعية التي جعلت الحياة بالنسبة إلى البعض فضاء للتعبير عن أفراحهم أو أحزانهم اليومية طالما أن هذه الشّبكات قد تحولت إلى رداء أو عباءة للإختفاء أكثر ممّا هي وسيلة لتنشيط ملكة الوعي بطريقة عقلانية ليدرك بها حقيقة الواقع الذي يعيش فيه.

نعتقد أنّ هذه القضية تقع في صميم "علم اجتماع المعرفة" وضمن المداخل المنهجية والأبستمولوجيا المهمة لتحليل خصائص "الفعل الجمعي" وتشكّله من خلال دراسة مختلف

تعبيراته الخارجية (لغوية، خطابية، صور، رسوم...)، والتي يمكن للباحث الاجتماعي رصدها وملاحظتها وفهمها ثم تفسيرها. والربط بين الطائفة الواسعة من التعبيرات الإعلامية عبر الوسائط الافتراضية (المدونات والنقاشات والاتصالات) التي تكشف عن نوع جديد من طرق التفكير والوعي كمرآة للمجتمع الذي نعيش فيه، وباعتبارها "المادة البحثية" في علم الاجتماع الرقمي" هو –في الواقع– عملية شاقة للغاية، ومهمة في الوقت نفسه لضمان موضوعية الدراسة.

تنطلق الكاتبة سوزان غريتفيلد" في كتابها الذي ورد في صيغة إشكالية تحت عنوان: "تغيّر العقل: كيف تترك التقنيات الرقمية بصماتها على أدمغتنا؟" من سؤال رئيسي حول الطرق التي يمكن أن تؤثر بها التقنيات الرقمية، ليس فقط في أنماط التفكير والمهارات المعرفية الأخرى، وإنّما أيضاً في نمط الحياة والثقافة والتطلعات الشخصية. إذ تقول:" إنّ وسط التقنيات الرقمية تحديدًا، أي الشّاشة نفسها وما يكمن وراءها، قد يوجّه الآن عمليات تفكيرنا في اتجاه غير مسبوق. فالشّاشة الإلكترونية والتلفزية تمنح الفرد الانخراط في أنظمة تدريب العقل متعددة الأبعاد، ويكون تأثيرها في عملياتنا الذهنية غير مسبوقة (تقنية اجتماعية، علائقية، فكرية..). رغم القدرة على إنجاز العديد من الأمور في وقت واحد قد تبدو شيئا رائعا لمواكبة سرعة الحياة في القرن الحادي والعشرين، فإنّ الثمن قد يكون باهظاً. (غريتفيلد، 2017، ص247) فقد كشفت بعض الأبحاث، بحسب الباحثة، التي أجريت على تحليل سلوك القراءة في البيئة الرقمية على مدى السنوات العشر الماضية (من 2007 إلى 2017)، أنّ الانخفاض ـــــ التراجع ـــــ في الانتباه المستمر أصبح يميّز وبشكل متزايد مهارات القراءة والكتابة وعاداتها لدى الناس.

ثم تطرح الكاتبة نفسها السّؤال التالي: كيف يتكيف الدّماغ مع هذه البيئة الجديدة التي تشبه "حرائق الغابات الرقميّة (Digital Wildfire) "؟

تذهب في دراستها إلى إنّ الصورة الأكثر قتامةً "للمواطن الرّقمي"(Digital Native) يذكرها الكاتب الأمريكي البريطاني "أندرو كين" (Andro Keen) في إحدى دراساته حول مواقع "ماي سبس" (My Space) وفايسبوك وغيرها التي كشف فيها كيف تخلق هذه الوسائط ثقافة شابة من النّرجسة الرقميّة، في حين تقوم مواقع تبادل المعرفة المفتوحة المصدر مثل "ويكيبيديا" بتفويض سلطة المعلمين في الفصول الدّراسيّة. ويتّسم جيل "اليوتيوب" (Youtube) لكونه أكثر اهتماًما بالتعبير عن الذات من التعرّف على العالم. وتعمل الأصوات النّشاز الصادرة عن "المدوّنات" (Blogs) المجهولة المصدر والمحتوى المقدم من المستخدمين على صمّ آذان شباب اليوم على أصوات الخبراء المستنيرين.

لقد خلق عالم الاتصال عبر الفضاء الافتراضي، بحسب عديد البحوث والدراسات الميدانية، نوعاً جديداً من البيئة الإنسانية. لذلك، من الممكن أن يتغير العقل البشري ويتكيف بصورة موازية مع هذه البيئة الافتراضية الجديدة بطرق متوافقة معها، شكلاً ومضموناً، حيث ثبت من خلال عديد الدراسات في علم النفس الاجتماعي، أنّها لا تمتلك القدرة على تغيير ما نُفكّر فيه فقط، وإنّما أيضا طريقة تفكيرنا (غريتفيلد، 2017، ص61)، وأصبح التواصل عبر الفضاء الافتراضي عاملاً أساسياً في بناء ثقافة مختلف فئات المجتمع، من العامة والنخبة على حدّ السواء، ــونقلهم من حالة الكبت الواقعي إلى حالة من السيولة في التعبير الافتراضي دون حدود.

يذهب المفكر "بيار ليفي" إلى أن الوسائط الإعلامية الإلكترونية هي عبارة آلة هجينة ولكنها أصبحت فاعلة في تشكيل الذكاء الجماعي ومكوناته الأساسية وفق أربعة أبعاد وهي: (ليفي، 2018، ص81.)

1- بعد اتصالي أو "فضاء" بحالة تبدل مستمر: تجمعات وروابط وطرق تفاعل. إلخ.

2- بعد سيميائي، أي نظام مفتوح للعروض والصور والرّموز من الأشكال والمواد كافة والتي تتحرك في فضاء الاتصالات.

3- بعد سوسيولوجي أو القيمي يحدد الانتحاءات الإيجابية والسلبية، والنوعيات العاطفية المرافقة للعروض أو لمناطق الفضاء النفسي.

4- بعد طاقوي، وهو يحدّد قوّة التأثر المرتبطة بالصور.

يرى الباحث الأردني "ياس خضير البياتي" أنّ تكنولوجيا الإعلام والاتصال تطرح إشكاليتين رئيسيتين: (البياتي، 2014، ص39)

- الأولى؛ كونها أصبحت جزءًا من الحياة اليومية للأفراد والجماعات. وبالتالي، فمقاربتها تستدعي أكثر من حقل معرفي: علم الاقتصاد والاجتماع والسياسة وعلوم الاتصال والنفس والثقافة. الخ.

- الثانية؛ هي أنها تستدعي في تحديد ماهيتها حسم الفارق الجوهري بين ما هو تقنية كأدوات وأجهزة وعتاد، وبين التكنولوجيا كمعرفة، أي كمضامين ومحتويات وثقافة ومنظومة قيم.

7. وقع التنمّر السيبراني على الأفراد والجماعات:

ليست ظاهرة التنمّر السيبراني مجرد حالة مرضية عابرة، بل أصبحت "براديغم في التواصل" والتفاعل الاجتماعي واستوطنت مفاعيلها في عمق ذواتنا ـــــ الفردية والجماعية ـــــ وبدت تجلياتها واضحة في تغيير قيمنا وأخلاقنا وروابطنا الاجتماعية، فمنها تتغذى النزعات وترتفع العدائية للآخر في جميع صورها وأشكالها الخشنة والنّاعمة. بل تعتبر ظاهرة التنمّر من أخطر أشكال "العنف الرمزي" والمعنوي والنفسي الذي يمارسه البعض على المجتمع. ومن اللافت أن خاصية التنمّر باعتباره شكلاً من أشكال الخروج عن القاعدة الاجتماعية المرجعية(الدين والعادات) يشعر فيها أصحابها بالمتعة والنشوة عند اعتمادهم "معالم هذا السلوك وكأنهم يلامسون الذات الإلهية. وهذه الأجواء

المفعمة بالتعتيم وعمى البصيرة وغياب العقلنة في الحقل الاجتماعي، تجعل أصحابها وأتباعهم من الحشود، مثلما قال "ليفي برول"(1935) يستسلمون حتى في خضم سطوع "التنوير" لسلطان قديم يمارسه عليهم، نحن الذين نختزن أربعة أو خمسة قرون من الذّاكرة على الرّغم من اختلاف الانتماءات الاجتماعية للمتنمّرين السيبرانيين وتباعد مرجعياتهم الفكرية، فقد توحدوا في "ملمحهم الافتراضي" (le profil virtuel). وكأنّنا بهم لا يشعرون بوجودهم في الحقل السيبراني إلاّ عبر اختلاق العداوة وفتح ساحات المعارك الوهمية بين بعضهم البعض، ويعملون بكل جهد على استمرار الجماعات المتنمّرة عبر ملأ فراغات عقول الناس بالهوامش وترويضهم على "نظام التفاهة (Deneault, 2006. P77). فبات حال مجتمعاتنا مثل حال أوروبا المشرذمة بجماعات المثليين...، ومثلما وصفها رئيس الوزراء البريطاني السابق" ونستون تشرشل"، فهي عبارة عن "كومة من الأنقاض، ومقبرة، وأرض خصبة للأوبئة، والكراهية".(ماكمان، 2014، ص12)

من أخطر الخدع في أسلوب التواصل عبر هذه الوسائل والمنصات الرقمية هو أنها تجعلنا نرى كل شيء من الخارج، ولا ننظر إلى الظاهرة في وجهها المباشر والمعاين (Concret) أو الملموس، حتى يتحول النسق التواصلي باعتباره غير مباشر إلى هراء. هكذا يولد العبث بالمجتمع من خلال تغييب هموم الناس الجوهرية وإعطاب ملَكة الفكر وتأثيث الخواء والتفاهات، أي العمل على تحقيق الوجود بواسطة الكلمة المنطوقة لسانياً وليس عقلياً، بواسطة شقشقة لغوية مجردة. ومن مظاهر الخطورة التي تمثلها هذه الظاهرة اللسانية والمشهدية الافتراضية أنّها أصبحت تشكّل نظاماً معرفياً وتواصلياً يتحكّم في المشهد السياسي ويحدّد مساراته ويتحكّم في مآلاته.

هذه السلوكات المتنمّرة بدأت تتعمم وتكتسح جميع الأماكن وتخترق جميع مؤسّسات المجتمع الخاصة والعامة منها. والعقلية التنمّرية التي انتشرت في الفضاءات الإلكترونية نجحت إلى حدّ ما في تأسيس عقلية العبث التي أصبحت تتكثف مفاعليها التخريبية سواء

على الصعيد العملي كما على الصعيد النظري، فهي ترتكب دماراً في سياقات التعارف الفردي أو الجماعي. وأصبحت لمواقع التواصل الاجتماعي تأثيرات زلزالية وإيقاعات خطيرة في العبث بنسيج مجتمعاتنا سواء في مستوياتها المحلية أو الوطنية، حتى تحوّلت إلى إحدى ذخائر الفتنة عند البعض، يتمّ من خلالها التلاعب بعقول الكثير من الأشخاص، واختلط فيها الحق بالباطل. وكانت من أبرز إيقاعاتها على مستوى "العقل الجمعي" هو نجاحها في صناعة الرأي العام المزيف وعرضه عبر هذه المنصات كبديل عن الواقع الحقيقي، ومعاداة كل فكر تنويري يستهدف الارتقاء بهذا الواقع بأساليب عقلانية تستجيب لطموحات الناس وتخلصهم من سجونهم الافتراضية (Lazreg, 2008, p45).

لقد تجاوزت ظاهرة التنمّر السيبراني بعدها الاجتماعي لتتحوّل إلى براديغم في الثقافة العامة أتت أكلها وأثبتت نجاعتها التّدميريّة، فانتشرت في المجتمع الافتراضي واعتنق ساستنا "توبيخاتها النّاعمة"، وانتشرت إيقاعاتها في التصدعات العميقة في المجتمع القائمة على أسس الجماعات الطائفية، وانخرطت الحشود كلها في هذه المنازعات والمصادمات دون إدراك لخطورة مآلاتها ودون التمكن من حججها الواهنة، حتى تفشت إيقاعاتها النتنة في عمق نفوس هؤلاء وباتت في سلوكياتهم اليومية مستحكمة. لهذا، نعتقد أنه من الضروري، مثلما كتب الفيلسوف "بول ريكور" (Paul Ricœur) أن نعمل على تصحيح "الذّاكرة الجماعية" ونقدها، لأنّها ذاكرة مفبركة على ذاتها ومغلقة أبوابها وتعيش داخل عذاباتها وآلامها الخاصة بها حتى إنّها تصبح عمياء خرساء أمام آلام المجموعات الأخرى.(Ricœur, 2000, p650)

8. خاتمة

يذهب الكاتب إسماعيل عرفة في كتابه "الهشاشة النفسية" إلى أن المؤثرين في العالم كانوا في السابق منشغلين بقضايا عالمية فكرية أو حقوقية، لكن منذ سنوات قليلة مع انتشار شبكات التواصل الاجتماعي، تحول انشغالهم نحو تطوير الذات والاهتمام بالشغف

الفردي والطموح الشخصي، فتبدّلت مصطلحاتهم وأفكارهم بشكل كلي أحياناً. فهذه الوسائط ليست مجرّد لحظة عابرة مسلية أحياناً للنفس في وقت الفراغ، لكنّها تحمل في ثناياها "اللهو المدمّر" والكاسر للنفوس والعقول معا. كما فتحت هذه الوسائط شقوقاً في نفوس الأتباع، وأنتجت بحسب الكاتب "جيل رقائق الثلج" (Generation Snowflake) (إسماعيل عرفة، 2020، ص35) كما أنتجت أشكالاً جديدة من الميثولوجيا المتخيلة عبر القصص المزيفة والمجبولة في الأصل بالمبالغة وبالخرافات السخيفة والمغرقة في التفاهة، إذ "يتجمل فيها الخطأ بالخوارق" (ديتيان، 2008، ص53) طالما أن "الخيال هو الذي يدفعنا إلى الاستزادة من رؤية وسماع الحكايات التي تمثل خداعاً للعقل" (Lafitan, 1984, p35).

ثم يرويها رواة متمرّسون في خطاب الخداع الذي يستهدف ملكة العقل، أو "المعرفة التأملية"(Théorétique) حتى أننا بتنا نشعر أننا نعيش "حالة تجمد في لحظة تاريخية متحرّكة" (عماد، 2013، ص16).

فإبادة المجتمعات لم يعد يستدعي وضع خطط أو إعداد استراتيجيات مسبقة لشن حروب تقليدية واستخدام جميع أنواع الأسلحة البسيطة والفتاكة فيها، وإنما بات يتم بشكل "لحظي" ويومي عبر ما تمارسه وسائل الإعلام "المغلّفة بالدّعاية" والتي تعتمد "براديغم الثرثرة" من "عنف رمزي" أكثر تأثيراً وفتكاً بالذات البشرية من حيث التحكم في أسلوب حياتها بأكمله، بل بقتلها نفسياً ومعنوياً يومياً. فيبتكر الفاعلون المتحكمون في المشهد الإعلامي سيناريوات الحياة اليومية بنفس الكيفيات من أجل التحكم في الأوضاع الواقعية وتشبيك ألاعيبه عبر آليات غير مرئية تحدد نطاق التفاعل ومساراته لتتجذّر في الحياة النفسية الجماعية للمتلقين. لهذا، نحن في حاجة أكيدة إلى تعرية هذا الوهم الفظيع وخلخلة هذا الوثوق الأعمى، وتبديد هذه الغبطة الساذجة، وإنقاذ الإنسانية من جهالتها المركبة وفتح سجونها الذهنية" (البليهي، 2010، ص9)

لهذا، نحن في حاجة إلى تفكيك الخطاب التنمّري المأزوم لإبراز ما ينطوي عليه من أبعاد نفسية واجتماعية وثقافية ورمزية التي تؤكد على فقدانه الحد الأدنى من العقلنة ونزعة الأنسنة. نحتاج إلى المنهج العقلاني والنقدي الملتزم بقضايا المجتمع ومشاغله الحقيقية لمواجهة هذه الثقافة الإعلامية الافتراضية الجديدة التي يسعى منتجوها إلى خلق الفكر الجديد"([36]) في بناء الحضارات وتشييد ثقافة المجتمعات (كلفارون، 2017، ص41) لم يعد ينفع القول فيه وسلية للارتقاء الاجتماعي؛ ذلك أن الفصل بين الآلية والمنظومة، عدا عن أنه فصل اعتباطي هو غير علمي. فالمنظومة هنا تعني المضمون، أي القيم، من دونها يفقد النظام الاجتماعي قوامه وبنيانه".(عماد، 2013، ص18)

من إيقاعات الخطاب السيبراني الافتراضي أنه جعل من "الحشود البشرية" سعداء بالتنمّر والمعاداة والرغبة في الانتقام من الخصوم بشتى الوسائل العنفية بما فيها القتل. وقد تكرّرت المدونات الفيسبوكية التي يعبر فيها أصحابها عن رغبتهم الصريحة في "الثأر" وفي القتل، سواء عبر نشر الصور المشوّهة للشخصية المستهدفة أو عبر تدوين النصوص التي تدعو إلى الانتقام منه بشتى الوسائل. لقد فقد هؤلاء المتنمّرون جميع القيم الإنسانية التي تسبق الضوابط القانونية والمرجعيات الدينية ذات الآثار الطيبة في نفوس الناس والمشكلة لـــ"المجتمع المهذب"(Polished Society) أو "المجتمع العاقل"(Same Society) والراشد وفق عبارة "أريك فروم". (فرانكل، 2012، ص 141)

9. قائمة المراجع:

أبو الديار، مسعد.(2012): سيكولوجية التنمّر بين النظرية والعلاج، الطبعة الثانية، الكويت، مكتبة الكويت الوطنية.

أبو دوح، خالد كاظم، من التنمّر التقليدي إلى التنمّر الإلكتروني، 2017/03/20، مقال منشور في موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، استرجعت بتاريخ: 2022/09/25
https://www.mominoun.com/articles/477

البليهي، إبراهيم.(2010): حصون التخلف: موانع النهوض في حوارات ومكاشفات، بيروت، لبنان، منشورات الجمل.

البياتي، ياس خضير.(2014): الإعلام الجديد: الدولة الافتراضية الجديدة، عمان، الأردن، دار البداية ناشرون.

الشناوي، أمينة إبراهيم (2014): الكفاءة السيكومترية للمقياس التنمّر الإلكتروني (المتنمّر الضحية)، مجلة مركز الخدمة الاستشارات البحثية– شعبة الدراسات النفسية والاجتماعية، عدد نوفمبر (1–50)، مصر، كلية الآداب– جامعة المنوفية.

الصبان، عبير محمد وآخرون (2020): التنمّر الإلكتروني لدى الطلبة المراهقين في بعض مدارس المرحلة المتوسطة والثانوية في مدينة جدة، المجلة العلمية، المجلد36، جامعة أسيوط، العدد 9.

أنيس، إبراهيم وآخرون.(2004): المعجم الوسيط (عربي–عربي)، الطبعة الرابعة، القاهرة، مجمع اللغة العربية – مكتبة الشروق الدولية.

حسين، رمضان عاشور(2016): البنية العاملة لمقياس التنمّر الإلكتروني كما تدركها الضحية لدى عينة من المراهقين، المجلة العربية لدراسات وبحوث العلوم التربوية والإنسانية، كلية التربية، جامعة حلوان، العدد 4.

حنان فوزي أبو العلا (2017): فعالية الإرشاد الانتقائي في خفض مستوى التنمّر الإلكتروني لدى عينة من المراهقين (دراسة وصفية إرشادية)، القاهرة، مجلة كلية التربية، المجلد33، العدد 6.

ديتيان، مارسيل.(2008): اختلاق الميثولوجيا، ترجمة مصباح الصمد، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.

عرفة، إسماعيل.(2020): الهشاشة النفسية: لماذا أصبحنا أضعف وأكثر عرضة للكسر، الطبعة الثانية، الرياض، المملكة العربية السعودية، مركز دلائل للنشر.

علي ثابت إبراهيم حنفي ونوار تاج الدين جعفر صادق (2019): التنبؤ بسلوك مرتكبي التنمّر لدى طلاب المرحلة الثانوية في ضوء العوامل الخمسة الكبرى للشخصية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد 20، العدد 4، المنامة، جامعة البحرين عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي.

عماد، عبد الغني.(2013): الإسلاميون بين الثورة والدولة: إشكالية إنتاج النموذج وبناء الخطاب، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.

غريتفيلد، سوزان.(2017)، تغيّر العقل: كيف تترك التقنيات الرقمية بصماتها على أدمغتنا؟، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي، سلسلة عالم المعرفة، العدد445، فيفري، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

غيدنز، أنطوني.(2014): الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، ترجمة أديب يوسف شيش، الهيئة العامة السورية للكتاب.

فرانكل، فيكتور.(2012): الإنسان والبحث عن المعنى: معنى الحياة والعلاج بالمعنى، ترجمة طلعت منصور، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ت)، القاهرة، 2012.

كلفارون، إيف.(2017): إدوارد سعيد الانتفاضة الثقافية، ترجمة محمد الجرطي، دمشق، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع.

كوتش، كريستوف.(2013): مقاربة بيولوجية عصبية، ترجمة عبد المقصود عبد الكريم، الطبعة الأولى، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

كوين، جاريد.(2013): العصر الرقمي الجديد، ترجمة أحمد حيدر، بيروت، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون.

ليفي، بيير.(2018): عالمنا الافتراضي: ما هو؟ وما علاقته بالواقع؟، ترجمة رياض الكحال، الطبعة الأولى، المنامة، هيئة البحرين للثقافة والآثار.

ماكمان، روبرت جيه.(2014): الحرب الباردة: مقدمة قصيرة، ترجمة محمد فتحي خضر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

معلوف، لويس.(بدون سنة نشر): المنجد في اللغة، الطبعة 19، المطبعة الكاثولوكية، بيروت، لبنان.

هثيمي، حسين محمود (2015) : العلاقات العامة وشبكات التواصل الاجتماعي، ط1، عمان، دار أسامة.

هيئة تنظيم الاتصالات بمملكة البحرين، قل لا للتنمّر، احم نفسك من التنمّر الإلكتروني وساهم في حماية الآخرين، جمعية البحرين النسائية للتنمية الإنسانية. استرجعت بتاريخ: 2022/06/30.
https://www.arabccd.org/files/0000/678/pdf

https://www.unicef.org/egypt/ar/bullying

https://petitpets.com/les-lions-et-les-tigres-sentendent-ils

Dominique-Manuela Pestana (2013), *Le harcèlement au collège, les différentes faces de la violence scolaire, Ed Karthala*

Hamid Hachelafi; (2021), *Profil des victimes du Harcèlement dans le secteur de la sante* مجلة الوقاية والأرغنوميا، جامعة الجزائر2، المجلد 9 العدد1.

https://id.erudit.org/iderudit/1063688ar

http://journals.openedition.org/sociologie/1820

Marie- Helene Bacqué et Yves Sintomer; (2001*); Affiliations et Désaffiliations en Banlieue,* Revue française de Sociologie.

Tomas Legon, (2011), *La Force des liens Forts: culture et sociabilité en milieu lycéen*, Réseaux in Cairn n°165

Alain Deneault (2006), *La médiocratie,* Québec, Lux Editeur.

Marnia Lazreg, (2008),*Torture Twilight of Empire*, Eds Princeton.

Paul Ricœur, (2000), *La mémoire, l'histoire, l'oubli,* Paris, Éds du Seuil.

Joseph-François Lafitan, (1984),*Mœurs des sauvages américains comparées aux mœurs des premiers temps,* Vol.2, Paris, Saugrain L'aine.